التّناصّ القرآني في شعر أبي العتاهية
(التّناصّ في الحياة الدّنيا أنموذجاً)

عبد الجليل جاسم الأحمد*، عبد الستّار سيّد أحمد, ميسون شوّا****

* طالب دراسات عليا (ماجستير)، قسم اللغة العربيّة . كليّة الآداب . جامعة حلب

** قسم اللغة العربيّة . كليّة الآداب . جامعة حلب

الملخّص

يُعَدُّ أبو العتاهية من الشّعراء البارزين الّذين استلهموا التّراث الدّينيّ في شعرهم, فيلحظ القارئ لشعره بروز "ظاهرة التّناصّ", وقد اقتضت خطّتنا الإجرائيّة المنهجيّة تناول هذه الظاهرة من محورين؛ محور نظريّ, ومحور تطبيقيّ, فكان هدف هذا البحث إلقاء الضّوء على التّناصّ **Intertextuality**, وتبيان مفهومه ودلالته, ووضّح للقارئ كيف أنّ النصّ لا يتمّ بمعزل عن النّصوص الأخرى, بل يفتح أمام القارئ فضاءات وعوالم أُخر, ويبيّن الارتباط الحاصل بين النصّ السّابق واللاحق, فذلك يمنح النّصّ قيمة جماليّة, ويخلق تأويلات كثيرة أمام المتلقّي, كما قدّم دراسة تطبيقيّة للتّناصّ مع القرآن الكريم في شعر أبي العتاهية, وكيفيّة ورود هذا التّناصّ, وذلك بعرض أنموذجٍ للتّناصّ القرآنيّ وهو "التّناصّ في الحياة الدّنيا", وقد ورد هذا التّناصّ بأشكال متعدّدة, فكان تناصّاً لفظيّاً وتركيبيّاً ومعنويّاً وأسلوبيّاً وإيقاعيّاً وتلميحيّاً.

الكلمات المفتاحيّة: التّناصّ . القرآن الكريم . الحياة الدّنيا . أبو العتاهية.

ورد البحث للمجلّة بتاريخ: 2018 /9/22م

قبل للنّشر بتاريخ: 2018/11/12م

التّمهيد :

إنَّ ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ العمليّةَ الإبداعيّةَ لا تأتي مِنَ العدمِ, وإنَّمَا هيَ نابعةٌ مِنْ شيءٍ سابقٍ عنها, ألا وهوَ رصيدُ الأديبِ المعرفيّ, ومخزونه الثّقافيّ, فالمبدعُ إذاً لا ينطلقُ مِنْ فراغٍ, بلْ لَهُ خلفيّاتٌ تحرّكُهُ, وتثيرُهُ متى وجدَ دافعاً للتّعبيرِ, وهكذا فالنصُّ الأدبيُّ مرتبطٌ بذاكرةِ الأديبِ وبحاضرِهِ, وهو ليس وحدةً قائمةً بذاتها, بل هو مجالٌ يتكوّنُ من تقاطعِ نصوصٍ وخطاباتٍ اجتماعيّةٍ وثقافيّةٍ وفكريّةٍ وتاريخيّةٍ محيطةٍ بِهِ أو سابقةٍ عليهِ[1]. و"هوَ نتاجٌ لتفاعلِ عددٍ لا يُحصَى مِنَ النُّصوصِ المخزونةِ في باطنِ المبدعِ"[2], وكما يقولُ رولان بارت: "النصُّ كائنٌ لغويٌّ يشهدُ على حضورِ التُّراثِ فيهِ "[3].

فهذا الحضورُ، وذاك التفاعلُ، وذلك التقاطعُ هوَ ما اصطُلِحَ عليهِ في النَّقدِ الحديثِ اسمُ "التّناصّ", وكانَ أولَ من قالَ بهِ الباحثةُ الفرنسيّةُ جوليا كريستيفا.

التّناصّ مصطلح نقديّ حديث ظهر في ستينات القرن العشرين, و هو تعريب للمصطلح الإنكليزيّ **Intertextuality**[4], وهو اصطلاح يحمل معاني وثيقة الخصوصيّة تختلف بين ناقد وآخر, والمبدأ العام فيه أنّ النّصوص تشير إلى نصوص أخرى[5].

ظهر مصطلح التّناصّ أوّل ما ظهر على يد الباحثة الفرنسيّة ذات الأصول البلغاريّة "جوليا كريستيفا", وذلك في أبحاثها التي نُشِرَتْ في مجلّتي "تيل كيل"

---

[1] خشّاب, وليد: دراسات في تعدّي النصّ, الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريّة, مصر, (د.ط),1994, ص 1.

[2] الغذامي, د.عبد الله : الخطيئة والتكفير من البنيويّة إلى التشريحيّة, الهيئة المصريّة العامّة للكتاب, ط 4, 1998, ص 15.

[3] بارت, رولان: لذّة النصّ, تر/ منذر عيّاشي, مركز الإنماء الحضاري, حلب, ط 1, 1992, ص 14.

[4] ينظر عزّام, محمد: النص الغائب (تجلّيات التناص في الشعر العربي), منشورات اتّحاد الكتّاب العرب, دمشق, العدد 97 , 2001, ص 28 . 29.

[5] الغذامي, د. عبد الله: الخطيئة والتكفير: ص 324 . 325.

و"كريتيك" بين سنتي (1966ـ1967)[1], فهي ترى أنّ "النّصّ عبارة عن لوحة فسيفسائيّة من الاقتباسات, وكلّ نصّ هو تشرّب وتحويل لنصوص أخرى"[2], فالكلمات والعبارات المقتبسة لها أثر في تزيين النّصّ وتجميله و إعطائه رونقاً ذا طابع متميّز, وقد عرّفت التّناصّ بأنّه ترحالٌ للنّصوص وتداخل نصّيّ, ففي فضاء نصّ معيّن تتقاطع وتتنافى ملفوظات متعدّدة مقتطعة من نصوص أخرى[3], ورأت أنّ المدلول الشّعريّ يحيل إلى مدلولات خطابيّة مغايرة, بشكل يمكن معه قراءة خطابات متعدّدة داخل القول الشعريّ[4], فالنصّ الشعريّ إذاً لا يبقى في حال سكونيّة, بل هو متحرّك باستمرار, إذ يمكن الاستفادة منه في مواضع أخرى.

وقد استندت كريستيفا في تحديدها لمفهوم التّناصّ إلى آراء ميخائيل باختين في طرحه مفهوم الحواريّة, فهو يرى أنّ كلّ خطاب سواء أكان ذلك عن قصد أم كان عفويّاً, يقيم حواراً مع الخطابات السّابقة له, الخطابات التي تشترك معه في الموضوع نفسه[5]. ويرى أنّ آدم υ هو الوحيد الذي استطاع تجنّب إعادة خطاب الآخر, لأنّه كان يقارب عالماً يتّسم بالعذريّة, ولم يكن قد تُكلِّم فيه وانتهك[6].

فبذلك يكون باختين هو المؤسّس الحقيقي للتّناصّ, وإن لم يستعمل هذا المصطلح بعينه, أمّا ظهور هذا المصطلح بتسميته, فكان ـ وكما أسلفنا ـ لكريستيفا قصب السّبق فيه.

---

[1] فرطاس, نعيمة: نظريّة التناصّيّة والنقد الجديد (جوليا كريستيفا نموذجاً), منشورات اتّحاد الكتّاب العرب , دمشق, العدد 434, 2007 , ص 28 . 29.

[2] الغذامي, د. عبد الله: الخطيئة والتكفير: ص 15. . وينظر عزّام, محمد: النص الغائب: ص 22.

[3] كريستيفا, جوليا:علم النص, تر/ فريد الزاهي, مراجعة: عبد الجليل ناظم, دار توبقال, الدار البيضاء, ط 2, 1997, ص 21. وينظر ابن ذريل, عدنان: النّصّ والأسلوبيّة بين النظريّة والتطبيق, منشورات اتحاد الكتّاب العرب, دمشق, العدد 6 , 2000, ص 63.

[4] كريستيفا, جوليا:علم النصّ: ص 78.

[5] ينظر تودوروف, تزيفيتان: ميخائيل باختين ـ المبدأ الحواري , تر/ فخري صالح , المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر , بيروت , ط 2 , 1996, ص 16.

[6] ينظر المرجع السّابق: ص 125.

ثمّ أسهم رولان بارت من بعد كريستيفا في تفسير ظاهرة التّناصّ حينما عرّف النّصّ على أنّه نسيجٌ من الاقتباسات و الإحالات و الأصداء المنحدرة من أصول ثقافيّة متنوّعة سابقة أو معاصرة, ورأى أنّ التّناصّ يدخل في كلّ نصّ[1], وأنّ الخطاب يكون مرجعه خطاب آخر[2]. وفي هذا ترسيخ وتأكيد لما بدأته كريستيفا من عدم محدوديّة النصّ, واستمراره جوهراً قابلاً للتحرّك والتجديد.

أمّا "جيرار جينيت" النّاقد الفرنسيّ فكان له أثر بارز في تعميق هذا المفهوم, فقد استعمل مصطلحي التّعالي النّصّي والتّداخل النّصّي , فيعرّف التّعالي النّصّيّ: بأنّه كل ما يجعل النّصّ في علاقة, خفية أو جليّة, مع غيره من النّصوص[3]. ويقصد بالتّداخل النّصّيّ الوجود اللغويّ, سواء أكان نسبيّاً أم كاملاً أم ناقصاً, لنصٍّ في نصٍّ آخر[4]. فهذا تأكيد بأنّه لا يوجد نصّ يقوم بمعزل عن النّصوص الأخرى, فلا بدّ من التّأثّر ولو في جزئيّة بسيطة منه.

ويؤكّد "فوكو" هذا الأمر , فيرى أنّه لا وجود لتعبير لا يفترض تعبيراً آخرَ, ولا وجود لما لا يتولّد من ذاته, بل يكون ذلك بوجود أحداث متسلسلة ومتتابعة, ومن توزيع الوظائف والأدوار[5].

ويعرّف "فيليب سولرس" التّناصّ بأنّه:" كلّ نصّ يقع في مفترق طرق نصوص عدّة, فيكون في آن واحد إعادة قراءة لها, وامتداداً وتكثيفاً, ونقلاً وتعميقاً"[6].

وفي دراستي للتّناصّ في شعر أبي العتاهية (ت . 211)هـ , وقع اختياري

---

[1] ينظر بارت, رولان: درس السيميولوجيا, تر/ عبد السلام بن عبد العالي, تقديم عبد الفتّاح كيليطو, دار توبقال للنّشر, الدار البيضاء , ط 3, 1993, ص 63 , 85.

[2] بارت, رولان: التحليل النصّي, ترجمة وتقديم: عبد الكبير الشرقاوي, دار التكوين, دمشق, 2009, ص 47.

[3] جينيت, جيرار: مدخل لجامع النصّ, تر/ عبد الرحمن أيوب, دار الشؤون الثقافيّة العامّة, بغداد, (د.ط), 1985, ص 90.

[4] المرجع السابق: ص 90.

[5] علوش, د. سعيد: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة, دار الكتاب اللبناني, بيروت . ط 1, 1985, ص 215.

[6] السعدني, د. مصطفى: التناص الشعري (قراءة أخرى لقضيّة السرقات) , توزيع منشأة المعارف, الإسكندريّة, (د.ط), 1991, ص 8.

على التّناص مع القرآن الكريم, الّذي شكّلَ بفضل فصاحته وبلاغته, التي تحدّى بها الله تعالى فصحاءَ العرب, نصّاً مقدّساً ومصدراً إعجازيّاً أحدث ثورةً فنّيّةً على معظم التّعابير التي ابتدعها العربُ شعراً ونثراً, فأصبح أهمَّ الوسائل المنتجة للدّلالات والمعاني, ونبعاً غزيراً لا ينفدُ ماؤُهُ ولا ينضبُ, ولا يفسد مع تقادم الزّمن, بل هو صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ, وذلك إضافة لما يحويه من قصص وعبر وأحداث, فكان بذلك من أهمّ المصادر التي يعبّر بها الشّعراء في قصائدهم, فيقتبسون منها, ويرمزون بها, ويلمحون إليها, وينهلون من هذا النّبع العذب الغزير.

وإنّ المتأمّل في شعر أبي العتاهية يلحظ بروز القرآن الكريم بشكل جليّ, فلو تفحّصنا مواضع التّناصّ مع القرآن الكريم التي وُجِدَت في شعره, لوجدناها ذات طرائق متعدّدة متنوّعة, وهي:

التناصّ مع المفردات القرآنيّة.

التناصّ مع التراكيب القرآنيّة.

التناصّ مع المعاني القرآنيّة.

التّناصّ مع الأسلوب القرآنيّ.

التناصّ مع الفواصل القرآنيّة.

التناصّ مع القصص القرآنيّة.

أمّا الموضوعات التي برز فيها التّناصّ مع القرآن الكريم, فهي متعدّدة متنوّعة أيضاً, وهي:

الحياة الدّنيا.

الموت والآخرة.

المواعظ والعبر.

مواضع أخرى: وأبرزها تمجيد الله سبحانه وتعالى, ومدح النّبيِّ محمّد ρ.

وسنتناول في هذا الجانب من البحث أنموذجاً من تلك الموضوعات, وهو التّناصّ في الحياة الدّنيا.

●التّناصّ في الحياة الدّنيا :

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في هذه الدّنيا لغاية سامية, وهي تعبُّد الله تعالى, وإعمار هذا الكون الواسع الّذي خلقه الله تعالى, فأحسن خلْق الإنسان, وأسدى عليه نعمه الكثيرة التي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى, ظاهرة وباطنة, قال تعالى: **{ومَا خَلَقتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إلَّا لِيَعبُدُونِ }**[1], وقد أرسل إليه الرّسل التي تبيّن له طريق الصّواب, وتحذّره من الابتعاد عنه؛ لأنّه سيؤدّي إلى هلاكه.

وتبرز رؤية أبي العتاهية للدّنيا وموقفه منها بتأكيده الكثير من الحقائق التي تتمثّل فيما يأتي:

أولاً . الدّنيا متاع زائل: أخبر المولى عزّ وجل في كثير من آي الذّكر الحكيم أنّ هذه النّعم التي نراها على الأرض قد وُضِعَتْ اختباراً لنا, حتّى يميز الخبيث من الطيّب, ولا تعدو أن تكون متعاً سريعة الزّوال والانقضاء.

وقد اتّخذ أبو العتاهية من نبذ الدّنيا والدّعوة إلى الانصراف عنها, وعن التّعلّق بنعيمها الزّائف, والإخبار بزوالها وغرورها, وإثبات هذه الحقائق, وسيلة لوعظ النّاس, وتذكيرهم بمآل هذه الحياة, ومصير الأحياء فيها, وعدم التّعلّق بأسبابها الفانية, وقد تجلّى ذلك عن طريق الحقائق الآتية:

- الدّنيا متاع زائف: فالدّنيا . في رؤيته التي لا تختلف عمّا ورد في القرآن الكريم . متاع زائف, كلّ ما فيها زائل, تغرّ الإنسان وتخدعه بزبرج عيشها الذي سرعان ما يتلاشى ويندثر, يقول أبو العتاهية[2]: (من السريع)

أَلَا إلى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورْ ما أنتِ يا دُنيَايَ إلَّا غُرُورْ

الشّاعر هنا يبيّن أنّ مصير الإنسان الرّجوع إلى الله تعالى, وأنَّ هذه الحياة تغرّنا بمتعها وملذّاتها, فتبعدنا عن طاعة الله Y وعبادته, والشّاعر يتناصّ و قوله تعالى: **{ أَلَاْ إِلَىٰ اللهِ تَصِيْرُ الْأُمُوْرُ }**[3], فجميع أمور هذه الدّنيا ترجع إلى الله تعالى من

[1] الذاريات: (56).

[2] فيصل, شكري: أبو العتاهية أشعاره وأخباره, دار الملّاح, دمشق, (د.ط), 1965, ص 172.

[3] الشورى: (53).

غير وسائط, فيثيب المحسن, ويعاقب المسيء, فنلاحظ أنّ الشّاعر اقتبس التّركيب القرآني كاملاً بلفظه وإيقاعه, وفي الشّطر الثّاني يتناصّ وقوله Y: {... **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ** }[1]؛ **أي** إنّها متاع فانٍ, يغتر بها من يعتقد أنّه لا دار سواها ولا معاد وراءها, وهي حقيرة قليلة بالنّسبة إلى الدّار الآخرة, فجاء التّناصّ مع الآية الكريمة على مستوى الألفاظ والأسلوب مع تغيير طفيف.[ما أنتِ يا دُنيَايَ إِلَّا غُرُورْ = وَمَا الحَيَاةُ الدُّنيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ]

- محدوديّة عمر الإنسان: يؤكّد أبو العتاهية أنّ عمر الإنسان محدود, فهو لا يعيش مدى الزّمان, بل إنّ حياته سرعان ما تنقضي, فعليه ألّا ينغمس في ملذاتها ومتعها, يقول شاعرنا[2]: (من الوافر)

أَلَم تَرَ أَنَّما الدُّنيَا غُرُورٌ وأَنَّ مَقَامَنَا فِيهَا قَلِيلُ

فمهما غرّته هذه الحياة بجمالها ومتعها الزّائفة, فإنَّ ذلك لن يدوم طويلاً؛ لأنّ حياة الإنسان إلى زوال, وقد بدأ البيت بالاستفهام التّقريري, فهو يقرّر حقيقة هذه الحياة, فهي غرور, وسريعة الزّوال, والشّاعر يستلهم هذا البيت من معنى قوله تعالى: {... **أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ**}[3], فالآية الكريمة جاءت ردّاً على أولئك الّذين تخلّوا عن الجهاد في سبيل الله, ورضوا بمتاع قليل, وتركوا متاع الآخرة الكثير[4], فبدأت كما بدأ الشّاعر بيته بالاستفهام التّقريري, فقد رضيتم بالدّنيا ونعيمها الزّائل بدل الآخرة ونعيمها المقيم الدّائم, وجاءت الفاء في قوله Ψ /فما/ للإفصاح؛ لأنّها تفصح عن شرط مقدّر تقديره, إذا كنتم رضيتم ذلك فما متاع الحياة الدّنيا في الآخرة إلّا قدر قليل ضئيل إذا ما قُورِن بنعيم الآخرة, وهنا إشارة بيانيّة في النّفي والإثبات, فإنّه يفيد قصر متاع الدّنيا مهما

[1] آل عمران: (185), الحديد: (20).

[2] فيصل, شكري: أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ص 290.

[3] التوبة: (38).

[4] ينظر صابوني, علي: مختصر تفسير ابن كثير, دار القرآن الكريم, بيروت, ط 7, 1981. م 2/ ص 143.

يكن فيه من إحساس بالرّاحة والفرح والطّمأنينة, فما ذلك إلا قليل أمام متاع الآخرة[1].

- عدم دوام الدّنيا على حال واحدة: وهذه الحياة الدّنيا مع كثرة متعها الزّائفة, لا تدوم على حال واحدة, فهي كثيرة التّقلّب بالإنسان, يقول أبو العتاهية[2]: (من الطويل)

أَلَا إِنَّمَا الدُّنيا مَتَاعُ غُرُورِ ودَارُ صُعُودٍ مَرَّةً وَ حُدُورِ

فالحياة لا تبقي الإنسان على حال واحدة, فتمرّ عليه أوقات فرح وسعادة, وأوقات حزن وكآبة, وأحياناً كثرة وغنى, وتارةً قلّة وفقر, مرّة تصعد بالإنسان, وأخرى تنحدر به, والشّاعر في الشّطر الأوّل يتناصّ وقوله تعالى: { ... **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**}[3], أي إنّها متاع يستمتع به الإنسان ويغترّ به, حتّى ينسيه متاع الآخرة, إذا استولى عليه, واستغرق حسّه ونفسه, أمّا إذا عرف حقيقتها بأنّها قنطرة الآخرة, فإنّها تكون جهاد النّفس, والسّيطرة على الأهواء, فنلاحظ أنّ التناصّ الحاصل تناصّ مع لفظ التركيب القرآني وأسلوبه وفق المعادلة الآتية: [الّدنيا = الحياة الدّنيا , متاع غرور= متاع الغرور، إنَّما = ما + إلّا (أسلوب قصر)].

- إجهاد النّفس وراء متع زائلة: ومع معرفة الإنسان أنّه لن يبقى له شيء ممّا يجمعه بعد الموت, وأنَّ مصيره مصير من سبقه, فهو يجهد نفسه في جمع المتاع , يقول أبو العتاهية[4]: (من الوافر)

إِذَا نَافَسْتَ فِيهِ كَسَاكَ ذُلّاً وَمَسَّكَ فِي مَطَالِبِهِ اللُّغُوبُ

فالنّاس يتنافسون في جمع الأموال, ويتسابقون في ذلك, ولن يحصلوا على شيء من ذلك إلّا التّعب والعذاب والهوان, فالمنافسة في الحصول على المتع الدنيويّة ينتج عنها الذلّ والعذاب والشّقاء, يتناصّ الشّاعر في قوله /ومسّك في مطالبه اللغوب/ والتّركيب والفاصلة القرآنيّة في قول المولى Ψ: {**الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ**}[5]؛ أي لا يمسّ أهل الجنّة عناء ولا إعياء,

---

[1] ينظر أبو زهرة, محمد: زهرة التفاسير, دار الفكر العربي, القاهرة, (د.ط), 1987, م 6 / ص 3306.

[2] فيصل, شكري: أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ص 170.

[3] الحديد: (20), وآل عمران: (185).

[4] فيصل, شكري: أبو العتاهية أشعاره وأخباره:: ص 23.

[5] فاطر: (35).

فلا تعب على أبدانهم, ولا أرواحهم, والسبب أنّهم كانوا يُدئبون أنفسهم في العبادة, فالتّناصّ هنا منقول من معنى الرّاحة, وعدم التّعب في الآخرة, إلى معنى التّعب والشّقاء في الدّنيا.

- استحالة الرّاحة والطّمأنينة في الدّنيا: يقول أبو العتاهية مبرزاً أنّ الرّاحة والطمأنينة لا تتحقّق للإنسان في الدّار الدّنيا, بل تتحقّق في الدّار الآخرة[1]: (من الرّمل)

أُفٍّ لِلدُّنيَا فَلَيْسَتْ بِدَارِ إِنَّمَا الرَّاحَةُ فِي دَارِ القَرَارِ

فالشّاعر يتضجّر من الحياة الدّنيويّة التي تجعل الإنسان يشقى ويتعب من دون فائدة, ويعدُّ الآخرة دار الرّاحة والطّمأنينة, ونلاحظ التّناصّ الحاصل بين هذا البيت وقصّة من قصص القرآن, وهي قصّة سيدنا موسى υ عندما أسدى النّصح لقومه, حيث يقول تعالى: **{يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ}**[2], يبيّن سيدنا موسى υ لقومه أنّ الحياة الدّنيا قليلة زائلة فانية سرعان ما تذهب وتضمحل, والآخرة هي الدّار الباقية التي لا زوال لها, ولا انتقال منها إلى غيرها, إمّا أن تكون نعيماً, وإمَّا أن تكون جحيماً[3], فكان التّناصّ على مستوى المعنى واللفظ.[أفّ للدّنيا فليست بدار = يا قوم إنّما هذه الدّنيا متاع (تناصّ في المعنى) إنّما الرّاحة في دار القرار = إنّ الآخرة هي دار القرار (تناصّ في اللفظ)]

- عدم دوام نِعَم الدّنيا: كلّ ما نراه من جمال هذه الحياة ومتعها لن يدوم للإنسان, فكثيراً ما يكدّر العيش فيها بالمنغّصات, وقلّما تجد إنساناً يعيش بسعادة وهناء عليها, يقول أبو العتاهية[4]: (من المتقارب)

أَغَرَّكَ مِنْهَا نَهَارٌ مُضِيءٌ وَ لَيلٌ يَجِنُّ وَ شَمسٌ تَغِيبُ

فَلَا تَحسَبِ الدَّارَ دارَ الغُرُو ... رِ تَصْفُو لِسَاكِنِيهَا أَو تَطِيبُ

يبيّن الشّاعر مدى اغترارنا بهذه الأيّام الجميلة التي تمرّ علينا في هذه الحياة,

[1] فيصل, شكري: أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ص 155.

[2] غافر: (39).

[3] ينظر صابوني, علي: مختصر تفسير ابن كثير: م 3 / ص 244 . 245.

[4] فيصل, شكري: أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ص 37.

فلا بدّ لهذا الصفو أن يُعكَّر بمرض, أو فقدان عزيز,أو بالموت في نهاية المطاف, والقارئ لقوله: /ليل يجنّ وشمس تغيب/ يجد فيه تناصّاً لفظيّاً وتلميحاً إلى قصّة سيدنا إبراهيم υ وذلك في قوله تعالى: **{فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ (76) ... (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (78)}**[1], في هذا عبرة كبيرة لنا حتى لا نغترّ بهذه الحياة, ونحيد عن جادّة الصواب, فقوم سيدنا إبراهيم υ لم يستطيعوا أن يضلّوه معهم عندما فكّر بعقله, وعرف حقيقة تلك الظواهر الكونيّة, ومن واجبنا نحن كذلك أن نفكر بعقلانية ومنطقية, حتّى ندرك كنه هذه الحياة, وأنّها زائلة فانية لا محالة, ولا نصل إلى الهلاك والضلال, ونستعدّ للحياة الأبديّة السّرمديّة. [ليل يجنّ = جنّ الليل , شمس تغيب = أفلت (الشّمس)]

ويعبّر أبو العتاهية عن زوال هذه الدّنيا ومتعها بتشبيهها بالأوهام والأحلام التي يراها الإنسان في نومه, يقول[2]: (من البسيط)

يَا نَفْسُ مَا هُوَ إِلَّا صَبْرُ أَيَّامِ كَأَنَّ لَذَّتَهَا أَضْغَاثُ أَحْلَامِ

الأيّام الجميلة في حياة الإنسان قليلة جدّاً, تمرّ وكأنّها حلم سريع لم يدم سوى بضع ثوانٍ في هذا الليل الطويل, وعندما يستيقظ من نومه سيحاول أن يتذكر ذاك الحلم, وهذا ملخّص لحياة الإنسان, وذلك عندما يصبح عاجزاً كبيراً في السّنّ, فلن تعوّضه تلك الأيّام الهانئة عن العجز الّذي أصابه, اتّكأ الشّاعر في /أضغاث أحلام/ على المعجم القرآنيّ في قول المولى Y: **{قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ}**[3], وذلك حينما رأى ملك مصر رؤيا, فسأل حاشيته عن تأويلها, فأجابوه بأنّها أضغاث أحلام, وفي النهاية أوّلها لهم سيدنا يوسف υ, فنلاحظ أنّه بمجرّد مرورنا بقول الشّاعر/أضغاث أحلام/ أحالنا اللاشعور إلى القصّة القرآنيّة مباشرة.

[1] الأنعام: (76 , 78).

[2] فيصل, شكري: أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ص 345.

[3] يوسف: (44).

فيا لَعجب هذا الإنسان! مع محدوديّة عمره نراه كيف يجهد نفسه وراء دنيا, متاعها زائف, ونعيمها زائل, وراحتها معدومة, وطمأنينتها مستحيلة.

ثانياً . النّاس في اللهو واللعب: إنّك لترى الإنسان غارقاً في لهوه وملذّاته, وكأنّ هذه الحياة قد وُجِدَتْ من أجل ذلك, وهو يتناسى الغاية التي خُلِقَ من أجلها, ويوضّح شاعرنا أبو العتاهية هذا الأمر عن طريق الحقائق الآتية:

- لهو الإنسان ولعبه في حين أنّ الموت لا يعرف اللعب واللهو, يقول أبو العتاهية في ذلك[1]: (من المتقارب)

أَنَلهُو وَأَيَّامُنَا تَذْهَبُ وَ نَلعَبُ وَالمَوتُ لَا يَلعَبُ

عمر الإنسان في انقضاء ولا يتوقّف, وهو يتغافل ويستمرّ في تهكّمه ولعبه, ويستمرّ في هذا الأمر حتّى يأتيه الموت, وقد بدأ الشاعر قوله بالاستفهام التّعجّبيّ؛ فهو يتعجّب من هذا الأمر, وبعده المضارع دلالة على الاستمرارية؛ أي إنّ اللهو مستمر, ثمّ تأتي الجملة الحاليّة, فحال الأيام الذّهاب من دون عودة, وفي الشّطر الثّاني يستخدم الطباق / نلعب ـ لا يلعب/, لتوضيح هذا الأمر, فالإنسان يلعب والموت لا يعرف اللعب, والشّاعر يستلهم هذا المعنى من قوله تعالى: **{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ ...}**[2], فالحياة الدّنيا باطل وغرور لقصر مدّتها, وفناء لذتها[3], وهي لعب ولهو, التناصّ هنا يكمن في اللفظ والمعنى, لكن الجديد قوله: الموت لا يلعب, [نلهو = لهو . نلعب, يلعب = لعب].

- مجيء الموت لا محالة منه, ولاشكّ فيه, فإلى متى ستواصل في لهوك وملذّاتك أيّها الإنسان؟ يقول الشّاعر في ذلك[4]: (من البسيط)

يَبْكِي وَيَضحَكُ ذُو نَفْسٍ مُصَرَّفَةٍ وَاللهُ أَضحَكَهُ وَاللهُ أَبكَاهُ
حَتَّى مَتَى أَنْتَ فِي لَهوٍ وَفِي لَعِبٍ وَالمَوتُ نَحوَكَ يَهوِي فَاغِراً فَاهُ

[1] فيصل, شكري: أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ص 38.

[2] الأنعام: (32).

[3] الصابوني, محمد علي: صفوة التفاسير, دار الجيل, بيروت, (د.ط), (د.ت), م 1 / ص 355.

[4] فيصل, شكري: أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ص 419.

تمرّ على الإنسان أوقات الحزن والفرح, وكلّ ذلك مقدّر عليه من الله تعالى, ولا يعتبر الإنسان من ذاك الأمر, فيبقى في لهوه ولعبه, فإذا بالموت يقبل إليه, وكأنّه وحش جائع ينتظر فريسته بنهم, فنلاحظ هذا التّصوير البيانيّ البديع للموت بصورة الوحش المفترس, والشّاعر يتناصّ في الشّطر الثّاني من البيت الأوّل والتّركيب القرآني في قوله تعالى: **{وأنّه هو أضحك وأبكى}**[1], "فالله سبحانه وتعالى هو الذي أوجد أسباب الحزن والفرح, والسّرور والغمّ, فأضحك في الدّنيا من أضحك, وأبكى من أبكى"[2]. [الله = أنّه هو . أضحكه وأبكاه = أضحك وأبكى]

وفي الشّطر الذي يليه تناصّ لفظيّ مع قوله تعالى: **{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُون}**[3], الآخرة أفضل من هذه الحياة, لماذا لا نتنبّه لهذا الأمر؟! ففيها من النعيم ما لا يُعدّ ولا يُحصَى, بعكس هذه الحياة الّتي لا ترى فيها إلّا المتع التّافهة الفانية الّتي يتلهَّى بها الإنسان عن الآخرة.

- استمرار النّاس في غفلتهم, وقد دنت آجالهم, يقول الشّاعر في ذلك[4]: (من المنسرح)

المَوْتُ حَقٌّ وَالدَّارُ فَانِيَةٌ وَكُلُّ نَفْسٍ تُجْزَى بِمَا كَسَبَتْ

وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ وَقَدْ حَلَّتِ الْـ ... آجَالُ فِي وَقْتِهَا وَ قَدْ قَرَبَتْ

فالموت سيأتي على كلّ إنسان, وهذه الحياة ستنتهي, ومن ورائها حساب, ومع معرفة الإنسان بأن أجله آتٍ لا محالة, مازال يعيش في غفلة عن هذا الأمر, الشّاعر يقتبس الشّطر الثّاني من البيت الأوّل من قوله Y : **{الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}**[5]؛ أي إنّ الإنسان سوف يحاسب في هذا اليوم على كلّ صغيرة وكبيرة, ونلاحظ أن التّناصّ الحاصل تناصّ مع لفظ التّركيب القرآني ومعناه, والفارق بينهما التّقديم والتّأخير, فكان تقديم /كلّ نفس/ عند

[1] النجم: (43).

[2] الصّابوني, محمد علي: صفوة التفاسير: م 3 / ص 464.

[3] الأنعام: (32).

[4] فيصل, شكري: أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ص 54.

[5] غافر: (17).

أبـي العتاهيـة تأكيداً علـى أنّ الجميـع مشـمولون بـالحكم, أمّـا فـي الآيـة الكريمـة فتقديم /تجزى/ دليلاً على أهميّة الجزاء, [كلّ نفس تجزى بما كسبت = تجزى كلّ نفس بما كسبت].

أمّا في قول الشّاعر: / والنّاس في غفلة /, فيتناصّ وقوله تعالى: **{وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}**[1], يوجّه المولى سبحانه وتعالى الخطاب إلى النبيّ ρ أنْ خوِّف المشركين من يوم القيامة يوم الحسرة والنّدامة, يتحسّر فيه المسيء على إساءته, والمحسن على قلّة إحسانه, حين فرغ من الحساب, وسيق الفريقان إلى الجنّة والنّار, وهم الآن في الدّنيا في غفلة عن ذلك اليوم العصيب, ولا يؤمنون به[2], فالتّناصّ جليّ مع تركيب اللفظ القرآني. [والنّاس في غفلة = وهم في غفلة]

كما يبدو التّأثّر لفظيّاً ومعنويّاً في البيت الثّاني بقوله تعالى: **{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ}**[3]؛ أي "أنَّ وقت حساب النّاس على أعمالهم قد قَرُبَ ودنا, وهم مستغرقون في الشّهوات, غافلون عن ذلك اليوم الرّهيب, لا يعملون للآخرة ولا يستعدّون لها"[4].

وهكذا يستمرّ الإنسان في لهوه ولعبه, ظنّاً منه أنّه سيخلّد, فإذا بالموت يفاجئه, وينقضّ عليه من حيث لا يشعر, فالموت لا يعرف اللعب.

ثالثاً ـ الدّنيا فانية: إنَّ عمر الإنسان مهما طال فإنّه بالنّسبة لعمر الآخرة قصير, وعيشها مهما لذّ وطاب, فهو بالنّسبة لعيش الآخرة حقير, ومهما تمتّع الإنسان في عيشه ولعب ولها, فإنَّ مصيره الفناء, ويعبّر أبو العتاهية عن فناء الحياة الدّنيا من خلال ما يأتي:

---

[1] مريم: (39).

[2] ينظر ينظر الزّحيليّ, د. وهبة وآخرون: الموسعة القرآنيّة الميسّرة, دار الفكر, دمشق, ط 8 , 2009 , ص 309.

[3] الأنبياء: (1).

[4] الصّابوني, محمد علي: صفوة التفاسير: م 1/ ص 240 . 241.

- **نـذر الفنـاء لهـذه الحيـاة:** خلقنـا الله سبحانـه وتعـالى علـى هـذه الأرض, فـترك لنـا حرّيّة التّصرّف والاختيار, وأرسل إلينا الرّسل والنّذر والعلامات التي ترشدنا إلى الصّراط السّويّ, كما أنّه أوجد علامات تدلّنا على أنّ مصير الإنسان الفناء من أجل أن نعتبر من ذلك, ونستعدّ لليوم الآخر, ومن تلك العلامات والرّسل الشّيب فهو من أبرز الرّسل التي تتبّه الإنسان إلى قرب نهايته, ومن النّذر أيضاً التّغيّر الّذي يحصل بين الليل والنهار, فذلك دليل على أنّ لكلّ شيء نهاية, يقول شاعرنا في ذلك[1]: (من الخفيف)

لَـو عَقَلْنَا إِذِ النَّـهَـارُ يَسُوقُ الْـ ... لَيلَ وَاللَيلُ إِذْ يَسُـوقُ الـنَّـهَـارَا
لَـرَأَيـنَـاهُـمَـا بِـمَـرٍّ حَثِيْـثٍ يَـطْـوِيَـانِ الأَعـمَـارَ وَالآثَـارَا
مَا استوَى النَّاسُ مُنْذُ كَانُوا أُنَاسَاً خَـلَـقَ اللهُ خَـلْـقَـهُ أَطْـوَارَا
مَـنْ رَأَى عِـبْـرَةً فَـفَـكَّـرَ فِيْهَا لَـمْ يَـزِدْهُ التَّفْكِيرُ إِلَّا اعتِـبَارَا

يوضّح الشّاعر لنا كيف أنَّ تعاقب الليل والنّهار يسارع في نهاية الإنسان, فهما يطويان عمر الإنسان, ولا يتركان له أثراً, وأيّ ذكر في هذه الحياة, كما أنّ خلق الله في هذه الحياة يتفاوتون, فهم قد خلقوا على مراحل, ومن مصير أولئك الأقوام الذين مرّوا على هذه الأرض, ومن تعاقب الليل والنهار يجب أن نفكّر بمصيرنا الّذي لن يختلف عن مصيرهم, فتكون لنا العبرة من ذلك, والشّاعر في هذه الأبيات متأثّر إلى حدٍّ كبير بالقرآن الكريم, يقول جلّ في علاه: **{يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ}**[2], فالله سبحانه وتعالى يغيّر أحوال الليل والنهار بالطول والقصر, والبرودة والحرارة, والزّيادة والنقصان, وفي ذلك دلالة واضحة على وجود الخالق, وكمال قدرته, وإحاطة علمه لأصحاب البصيرة, والعقل الذي يفكّر ويتدبّر الأمور[3], ويقول I في موضع آخر: **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ**

[1] فيصل, شكري:أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ص 146.
[2] النور: (44).
[3] ينظر الزّحيليّ, د.وهبة: الموسوعة القرآنيّة الميسّرة: ص 357.

وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ}[1], فوجود السّموات والأرض وما فيهما من إحكام وإبداع, وتعاقب الليل والنّهار على الدّوام علامات واضحة على الصّانع وباهر حكمته, ولا يظهر ذلك إلّا لذوي العقول السّليمة الذين ينظرون إلى الكون بطريق التّفكّر والاستدلال, لا كما تنظر البهائم[2].

كما يتأثّر الشّاعر في الشّطر الثّاني من البيت الثّالث بقوله تعالى: **{مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً (14)}**[3]؛ أي ما لكم أيّها القوم لا تقدّرون الله حقّاً, ولا تخشون عظمته وجلاله, وقد خلقكم طوراً بعد طور, فقد كنتم نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة إلى تمام الخلق, التّناصّ الحاصل هنا تناصّ مع المعنى واللفظ جميعاً. [خلق الله خلقه أطواراً = خلقكم أطواراً]

ومن النّذر التي تؤكّد حتميّة الفناء ظهور علامات يوم القيامة, التي في ظهورها أكبر دليل على نهاية الكون, وليس مجرّد نهاية الإنسان فقط, يقول أبو العتاهية موضّحاً ذلك الأمر[4]: (من المتقارب)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ دَبِيْبَ اللَّيَالِي يُسَارِقُ نَفْسَكَ سَاعَاتِهَا
وَهَذِي القِيَامَةُ قَدْ أَشْرَقَتْ عَلَى العَالَمِينَ لِمِيقَاتِهَا
وَقَدْ أَقْبَلَتْ بِمَوَازِينِهَا وَأَهْوَالِهَا وَبِرَوْعَاتِهَا
وَإِنَّا لَفِي بَعْضِ أَشْرَاطِهَا وَ أَيَّامِهَا وَعَلَامَاتِهَا
رُكْنَاً إِلَى الدَّارِ دَارِ الغُرُوْ ... رِ إِذ سَحَرَتْنَا بِلَذَّاتِهَا

يبيّن الشّاعر أنّه كلّما مرّ يوم على الإنسان نقص ذلك من عمره, وقد ظهرت دلائل يوم القيامة وعلاماته؛ لتدلّ على اقتراب نهاية الخلق جميعهم, فها نحن اليوم نشهد العلامات والأشراط التي تبرهن على اقتراب يوم القيامة, ومع ذلك ما زلنا مستأنسين متنافسين إلى تلك الملذّات التي سرعان ما تنفد, والشّاعر في ذلك يتناصّ

[1] آل عمران: (190).
[2] ينظر الصّابوني, محمد علي: صفوة التفاسير: م 1 / ص 227 . 228.
[3] نوح: (14.13).
[4] فيصل, شكري: أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ص 83.

ومعاني بعض الآيات الكريمة؛ من مثل قوله تعالى:**{قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (50)}**[1], يوجّه المولى سبحانه وتعالى الخطاب إلى النبيّ محمّد ρ :"قل لهم يا محمّد إنّ الخلائق جميعاً, السّابقين منهم واللاحقين, سيجمعون ويحشرون ليوم الحساب الذي حدّده الله بوقت معلوم لا يتقدّم ولا يتأخّر"[2], التّناصّ هنا على مستوى المعنى والمفردة القرآنيّة. [ميقاتها = ميقات]

ويتناصّ في البيت الثّالث وقوله تعالى: **{ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}**[3], ففي هذا اليوم توزن حسنات الإنسان, ويحاسب على كلّ صغيرة وكبيرة, ولا يظلم أبدآ بزيادة أو نقصان, التّناصّ هنا مع المفردة القرآنيّة [موازينها = الموازين].

وفي البيت الرّابع يبرز التّناصّ مع قوله تعالى: **{فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ}**[4]؛ أي"هل ينتظرون إلا قيام السّاعة فجأة وهم غافلون, فقد جاءت أماراتها وعلاماتها, فمن أين لهم التّذكّر إذا جاءتهم السّاعة, حيث لا ينفع ندم ولا توبة"[5], يبرز التّناصّ مع المعنى والمفردة القرآنيّة [أشراطها].

- **قصر عمر الإنسان:** كلّ يوم يزيد في عمر الإنسان فذلك يقرّبه من الفناء, يقول أبو العتاهية: (من البسيط)

مَا زَادَكَ السِّنُّ مِنْ مِثْقَالِ خَرْدَلَةٍ إِلَّا تَقَرَّبَ مِنْكَ المَوْتُ تَقْرِيْبَهْ

فكلّ زيادة في عمر الإنسان, ولو كانت ثانية واحدة, تقرّبه من الموت, ويعبّر الشاعر عن هذه الزيادة القليلة بوزن حبّة الخردل, والشّاعر في قوله: /مثقال خردلة/ يتقاطع والمعجم القرآنيّ من قوله تعالى على لسان لقمان الحكيم حينما يوصي ابنه:

---

[1] الواقعة: (5049).

[2] الصّابوني, محمد علي: صفوة التفاسير: م 3 / ص 295.

[3] الأنبياء: (47).

[4] محمد: (18).

[5] الصّابوني, محمد علي: صفوة التفاسير: م 3 / ص 196.

{يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}[1], يخاطب لقمان الحكيم ابنه بأنَّ المعصية مهما كانت صغيرة, ولو كانت في أخفى مكان, أو أبعد مكان, فإنَّ الله I سوف يحضرها ويحاسبنا عليها[2], وقد حدث التّناصّ هنا بطريقة فنيّة رائعة, إذ نقل المعنى من سياق إلى سياق آخر, أحالنا من خلاله إلى ذاك الخطاب الإلهيّ العظيم.

ومهما بلغ عمر الإنسان, ولو عاش ما عاش, وعمّر أعواماً وأعواماً سينتهي ذلك كلّه, يقول أبو العتاهية في ذلك[3]: (من مجزوء الرمل)

نُحْ عَلى نَفْسِكَ يَا مِسْـ ... ـكِينُ إِنْ كُنْتَ تَنُوحْ
لَتَمُوتُنَّ وَإِنْ عَمْـ ... ـمَرْتَ مَا عَمَّرَ نُوحْ

ابكِ على نفسك أيّها الإنسان بدلاً من البكاء على غيرك, فسوف يأتيك الفناء, وينقضي عمرك وإن عشت من الزّمن كثيراً, ولو كان بقدر الزّمن الذي عاشه نبيّ الله نوح υ, ونلحظ هنا التّناصّ التّلميحي مع قصّة سيدنا نوح υ الذي عمّر طويلاً, قال Ψ: **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ}**[4]؛ أي إنّ نبيّ الله نوح υ استمرّ هذه المدّة الطّويلة في دعوة قومه إلى توحيد الله عزَّ وجلَّ, ولكنَّهم أصرُّوا على الكفر والضلال, فأهلكهم الله تعالى بالطّوفان.

- **العزيمة والقوّة لا تطيلان من عمر الإنسان:** مهما امتلك الإنسان من القوّة والجلد ستفنى حياته, يقول أبو العتاهية[5]: (من مجزوء الكامل)

أَأَخِي مَا لَكَ نَاسِيَاً ... يَوْمَ التَّغَابُنِ فِي الأُمُورِ
لَو أَنَّ عُمْرَكَ زِيْدَ فِيـ ... ـهِ جَمِيعَ أَعمَارِ النُّسُورِ

---

[1] لقمان: (16).

[2] ينظر الصّابوني, محمد علي: صفوة التفاسير: م 2 / ص 463 . 464.

[3] فيصل, شكري: أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ص 99.

[4] العنكبوت: (14).

[5] فيصل, شكري: أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ص 166.167.

أَوْ كُنْتَ مِنْ زُبَرِ الحَدِيْـ ... ـدِ وَكُنْتَ مِنْ صَمِّ الصُّخُورِ
أَو كُنْتَ مُعْتَصِماً بِأَعْـ ... ـلَى الرِّيحِ أَو لُجَجِ البُحُورِ
لَأَتَتْ عَلَيكَ دَوَائِرَ الدْ ... ـدُنـيَـا وَكَـرَّاتِ الشُّـهُـورِ

الشّاعر يتساءل عن عدم تفكّرنا بيوم القيامة؛ لأنّ حياتنا الدّنيا ستنتهي ولو عشنا طويلاً بعمر نسور الأرض جميعها, والنّسور يضرب فيها المثل؛ لأنّها تعمّر طويلاً, ولو كنّا من الحديد الصّلب, أو من الصّخور القاسية, ولو طرنا على جناح الرّيح, ولو ركبنا أعالي الأمواج؛ لجاءنا هادم اللذات, ومنغّص الشهوات, ومفرّق الجماعات, وانتهت حياتنا, والشّاعر في هذه الأبيات يتناصّ والألفاظ والتّراكيب القرآنيّة, والقَصَص القرآنيّ, وتبرز إشارات تلميحيّة إلى بعض تلك القصص, ففي قوله: /يوم التّغابن/ يتناصّ وقوله تعالى: {**يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ**}[1]؛ أي اذكروا ذلك اليوم الرّهيب (يوم القيامة) الذي يجمع الله تعالى فيه الخلائق كلّها للحساب والجزاء, فهو يوم النّدم والغبن, حيث يظهر فيه غبن الكافر بتركه الإيمان, وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان[2], فالتّناصّ هنا على مستوى التّركيب القرآنيّ [يوم التغابن].

أمّا قوله: /زبر الحديد/ ففيه إشارة إلى قصّة ذي القرنين عندما استنجد به قوم, فبنى الجدار بينهم, وبين يأجوج ومأجوج, والتي ورد ذكرها في سورة الكهف, وهذه الآية الكريمة التي تمّ فيها التّناصّ, يقول تعالى: {**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ...**}[3].

وفي قول الشّاعر: / أو كنت معتصماً بأعلى الرّيح/ تلميح إلى قصّة سيّدنا سليمان υ الذي سخّر له الله كلّ شيء بما في ذلك الرّيح, قال تعالى: {**فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ**}[4]؛ أي جعلنا الرّيح منقادة لأمره, ليّنة قويّة, تسير

[1] التغابن: (9).
[2] ينظر الزّحيليّ, د.وهبة: الموسوعة القرآنيّة الميسّرة: ص 557.
[3] الكهف: (96).
[4] ص: (36).

بأمره حيث قصد وأراد[1].

فالدّنيا فانية, وعلامات فنائها ظهرت لنا, فتعاقب الليل والنّهار, وظهور علامات يوم القيامة خير دليل على ذلك, كما أنّ كلّ زيادة في عمر الإنسان تدنيه من الفناء, فالفناء سيأتيه ولو امتلك العزيمة والقوّة , أو عاش مئات السّنين.

الخاتمة: وبنهاية بحث تناصّ شعر أبي العتاهية والقرآن الكريم في موضوع الحياة الدّنيا تبيّن ما يأتي:

النصّ لا يكون معزولاً عن الوسط المحيط به, بل يأتي مرتبطاً به, ومتأثراً ومؤثراً به.

- براعة أبي العتاهية في توظيف الموروث الدينيّ, فتناصّ أبي العتاهية مع القرآن الكريم فتح أمام القارئ آفاقاً مختلفة, فوجدنا أنّ بيتاً شعريّاً واحداً قد أحالنا إلى أكثر من آية قرآنيّة, وأنّ لفظاً أو تركيباً أحالنا إلى قصّة قرآنيّة, فجعل نصّه الشعريّ ذا سلطة تأثيريّة على المتلقّي.

تجلّى تناصّ أبي العتاهية مع القرآن الكريم بطرق وأساليب مختلفة فكان تناصّاً مع اللفظ والتّركيب والأسلوب والمعنى والفاصلة والقصص.

نظرة أبي العتاهية للحياة الدّنيا لا تختلف وما جاء به القرآن الكريم؛ فهي متاع زائل يتمتّع بها من لم يعرفوا كنه الحياة, ولم يدركوا الحقيقة التي لأجلها وُجِدوا, فلا يستعدّون فيها لما بعدها, بل يلههم اللعب واللهو, ولكنّهم سيندمون على ذلك التّغافل لاحقاً, وهم يظنّون أنّ القوّة والعزم سيطيلان من عمرهم وأنّهم سيخلّدون, متناسين أنّ عمر الإنسان مهما طال فهو قصير جدّاً, وأنّ الدّنيا فانية, وقد دلتنا النّذر على ذلك, فالشّيب وتعاقب الليل والنّهار, وظهور علامات يوم القيامة خير دليل على هذه النّهاية القريبة.

المصادر والمراجع

. القرآن الكريم.

1. بارت, رولان:. **التّحليل النصّي**, ترجمة وتقديم: عبد الكبير الشّرقاوي, دار التّكوين,

[1] ينظر الزّحيليّ, د.وهبة: الموسوعة القرآنيّة الميسّرة: ص 456.

دمشق, (د.ط), 2009م.

2. **. درس السيميولوجيا**, تر/ عبد السّلام بن عبد العالي, تقديم عبد الفتّاح كيليطو, دار توبقال للنّشر, الدار البيضاء , ط 3, 1993م.
3. **. لذّة النصّ**, تر/ منذر عيّاشي, مركز الإنماء الحضاري, حلب, ط1, 1992م.
4. **تودوروف**, تزيفيتان: **ميخائيل باختين . المبدأ الحواري**, تر/ فخري صالح, المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر , بيروت , ط 2 , 1996م.
5. **جينيت**, جيرار: **مدخل لجامع النصّ**, تر/ عبد الرحمن أيوب, دار الشؤون الثقافيّة العامّة (آفاق عربية), بغداد, (د.ط), 1985م.
6. **خشّاب**, وليد : **دراسات في تعدّي النصّ** , الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريّة, مصر,(د.ط), 1994م.
7. **ابن ذريل**, عدنان: **النصّ والأسلوبيّة بين النظريّة والتطبيق**, منشورات اتحاد الكتّاب العرب, دمشق, العدد 6 , 2000م.
8. **الزّحيلي**, د. وهبة وآخرون: **الموسوعة القرآنيّة الميسّرة**, دار الفكر, دمشق, ط 8 , 2009م.
9. **أبو زهرة**, محمد: **زهرة التفاسير**, دار الفكر العربي, القاهرة, (د.ط), 1987م.
10. **السّعدني**, د. مصطفى: **التناص الشعري (قراءة أخرى لقضيّة السرقات)** , توزيع منشأة المعارف بالإسكندريّة, (د.ط), 1991م.
11. **صابوني**, علي: **مختصر تفسير ابن كثير**, دار القرآن الكريم, بيروت, ط 7, 1981م.
12. **الصّابوني**, محمد علي: **صفوة التّفاسير**, دار الجيل, بيروت, (د.ط) , (د.ت).
13. **عزّام**, محمد: **النص الغائب (تجلّيات التناص في الشعر العربي)**, منشورات اتّحاد الكتّاب العرب, دمشق, العدد 97 , 2001م.
14. **علوش**, د. سعيد: **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**, دار الكتاب اللبناني, بيروت . ط 1, 1985م.

15.**الغذامي**, د.عبد الله : **الخطيئة والتكفير من البنيويّة إلى التشريحيّة**, الهيئة المصريّة العامّة للكتاب, ط 4, 1998م.

16.**فرطاس**, نعيمة: **نظريّة التناصّيّة والنقد الجديد (جوليا كريستيفا نموذجاً)**, منشورات اتّحاد الكتّاب العرب , دمشق, العدد 434, 2007م.

17.**فيصل**, شكري: **أبو العتاهية أشعاره وأخباره**, دار الملّاح, دمشق, (د.ط), 1965م.

18.**كريستيفا**, جوليا:**علم النص**, تر/ فريد الزاهي, مراجعة: عبد الجليل ناظم, دار توبقال, الدار البيضاء, ط 2, 1997م.